

خطاب المناجاة في سورة الفاتحة: دراسة لغوية تحليلية

The discourse of soliloquy in Surat Al-Fatihah

Analytical linguistic study

د. مختار حسيني *

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط (الجزائر)، m.hoceini@crsic.dz

تاريخ الإرسال: 2021 / 01 / 17 تاريخ القبول: 2021 / 02 / 22 تاريخ النشر: 2021 / 03 / 30

الملخص:

لخصت سورة الفاتحة أصول الدين التي جاء القرآن الكريم ليقرها، ولذلك وصفها النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها القرآن العظيم وأنها أم الكتاب، وجاء الخطاب القرآني في هذه السورة متمحورا حول الاعتقاد والعبادة والدعاء. حيث إن الألوهية والربوبية تستلزمان الإقرار بعبودية المخلوق، وكلاهما يستوجبان طلب الهداية والاستعانة والدعاء.

وأما عن إشكالية البحث فهي البحث في ماهية خطاب المناجاة في سورة الفاتحة، وما الفوائد التي يمكن أن تستفاد من هذا الخطاب؟ وما نوع العلاقة بين المخاطب عز وجل والعبد المخاطب في هذه السورة؟ وعلى أي أساس يجب أن تبنى هذه العلاقة الخطابية؟ وقد سلكنا في سبيل ذلك الآليات التحليلية التي وفرها المنهج الاستقرائي والتحليلي، خاصة من منظوره اللغوي.

الكلمات المفتاحية: سورة الفاتحة، خطاب، مناجاة، حمد، دعاء.

Abstract

Surah Al-Fatihah summarized the fundamentals of religion that came with the Holy Qur'an, and that is why the Prophet - may God's prayers and peace be upon him - described it as "the great Qur'an" and as "the mother of the book." The Qur'anic discourse in this surah centered on belief, worship, and supplication. because the divinity and lordship require acknowledgment of the servitude of the creature, and both of them require seeking guidance, help, and supplication.

As for the problematic of the research, it is the research in what is the discourse of soliloquy in Surat Al-Fatihah, and what are the benefits that can be derived from this discourse? What is the type of relationship between the The addressee, the Almighty, and the the receiver in this surah? and On what basis should this rhetorical relationship be built? For this we have followed the analytical mechanisms provided by the inductive and analytical approach, especially from its linguistic perspective.

Keywords: Surat Al-Fatihah, Discourse, Soliloquy, Praise, Supplication.

مقدمة:

سورة الفاتحة مكية، عدد آياتها سبعة، وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفاً، ومن أسمائها: الفاتحة وأم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني والكافية والشافية والوافية وسورة الحمد وسورة الشكر.

سميت بالفاتحة لافتتاح القرآن الكريم بها، وقيل لأنها أول سورة نزلت من السماء¹، وسميت بأم الكتاب و أم القرآن لاشتمالها على جميع المقاصد الشرعية، وذلك أن "المقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى، فقوله: (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم) يدل على الإلهيات، وقوله: (مالك يوم الدين) يدل على المعاد، وقوله: (إياك نعبد وإياك نستعين) يدل على نفى الجبر والقدر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره، وقوله: (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا

الضالين) يدل أيضا على إثبات قضاء الله وقدره وعلى النبوات² ووجه تسميتها بالسبع المثاني لأنها جاءت تفسيرا لقول الله عز وجل في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]، ولما روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «قرأ عليه أبي بن كعب أم القرآن، فقال: "والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في القرآن مثلها، وإنما السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت"³، وأما الشافعية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فاتحة الكتاب شفاء من كل سم)) ولقوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في الصحابة الذين رفقوا لديغا: "وما يدريك أنها رقية؟ أصبتم..."⁴ والكافية لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها، ولا يكفي عنها غيرها، والوافية لقول "الثعلبي، وتفسيرها أنها لا تقبل التنصيف، ألا ترى أن كل سورة من القرآن لو قرئ نصفها في ركعة والنصف الثاني في ركعة أخرى لجاز، وهذا التنصيف غير جائز في هذه السورة"⁵ وأما تسميتها بسورة الحمد وسورة الشكر فلأنها بدئت بالحمد والثناء على الله عز وجل.

والفاتحة أعظم سورة في القرآن الكريم، فعن أبي سعيد بن المعلى قال: "كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: (استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم)، ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: (الحمد لله رب العالمين). هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته"⁶. وعن سعيد، مولى عامر بن كريز أن "رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي. فلما فرغ من صلاته لحقه. فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على يده وهو يريد أن يخرج من باب المسجد. فقال: "إني لأرجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة؛ ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الفرقان مثلها، فقال أبي: فجعلت أبطي في المشي، رجاء ذلك. ثم قلت: يا رسول الله، السورة التي وعدتني. قال: كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال: فقرأت عليه: (الحمد لله رب العالمين) حتى أتيت على آخرها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي هذه السورة. وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، الذي أعطيت".

ومما دفعنا إلى اختيار عنوان خطاب المناجاة ما ورد في الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي؛ يقول العبد: (الحمد لله رب العالمين)، يقول الله تعالى: حمدني عبدي، يقول العبد: (الرحمن الرحيم)، يقول الله تعالى: أثني علي عبدي، يقول العبد: (مالك يوم الدين)، يقول الله تعالى: مجدي عبدي، يقول العبد: (إياك نعبد وإياك نستعين)، يقول الله تعالى: هذه بيني وبين عبدي، قال: يقول: (اهدنا الصراط المستقيم) إلى آخر السورة، يقول الله تعالى: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل"⁷.

ولأن أحد وجوه تسمية الفاتحة بالسبع المثاني "أنها مثنى: نصفها ثناء العبد للرب، ونصفها عطاء الرب للعبد"⁸ ولأنها كذلك فهي "لا تقبل التنصيف، ألا ترى أن كل سورة من القرآن لو قرئ نصفها في ركعة والنصف الثاني في ركعة أخرى لجاز، وهذا التنصيف غير جائز في هذه السورة"⁹

وأما عن إشكالية البحث فهي ماهية خطاب المناجاة في سورة الفاتحة، وما الفوائد التي يمكن أن تستفاد من هذا الخطاب؟ وما نوع العلاقة بين المخاطب عز وجل والعبد المخاطب في هذه السورة؟ وعلى أي أساس يجب أن تبنى هذه العلاقة الخطابية؟

1. العلاقة الخطابية في سورة الفاتحة:

انطلاقاً من الإشكالية التي طرحناها في مقدمة هذا البحث حول نوع العلاقة الخطابية في سورة الفاتحة فإن الإجابة يمكن أن تستسقى من التقسيم الرباني الذي جاء على لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - للخطاب في سورة الفاتحة، وأن نصفها الأول يتضمن أحكام الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وأن نصفها الثاني يقتضي العبودية والخضوع والتسليم، وأن بينهما رحمة نازلة ودعاء صاعد، وهو ما يريده الله - سبحانه وتعالى - من من عباده، وهو الصراط المستقيم الذي يكون سبباً في الهداية والإنعام، ونجاة من الغضب والضلال المبين.

إن الصلاة علاقة خطابية بين العبد وربّه، فالمسلم يقف فيها بين يدي ربّه ليحمده ويعبده ويناجيه، ولينال من سبحات وجهه الكريم، فيقف مقبلاً على ربّه بروحه وعقله وجسده، فروحهُ تسبح بحمد ربّها وتستقي من نوره الذي أشرق له السماوات والأرض، وعقله يتفكر في عظمة الله وآياته، وجسده يظهر ضعفه وذله أمام خالقه، فيضع وجهه بمكارمه على الأرض تذلاً وتواضعاً لوجه الله الكريم، ولذلك قال داود وغيره من الأنبياء عليهم السلام سجد وجهي لوجهه الكريم، وكان من جزاء الله له أن أقبل عليه بوجهه، وقد أمر الله عباده أن يقفوا بين يديه بالإقبال عليه قلباً وبدناً، فيقبل عليه بوجهه الكريم فينالهم من سبحات وجهه ما يحيي قلوبهم من موت الشهوات، ويظهر جوارحهم من أدناس الذنوب، فإذا وقف العبد فمن أدب الوقوف أن يترضى ربّه بالثناء عليه، فيذكر مدائحه وصنائه، ثم يسأل حاجته، وقد فتح لأمة محمد من باب الدعاء ما لم يفتح لأحد من الأمم ونزل (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)¹⁰

يتجه خطاب العبد إلى ربّه في سورة الفاتحة: (اهدنا الصراط المستقيم) طلباً للثبات والدوام على الهداية، لأنه لو لم يكن مهتدياً ما وقف بين يدي الله عز وجل يصلي ويدعو، ولكنها من باب بيان الكلام عن الأزمنة الثلاثة للفعل، وبيان تناوبها في الاستخدام، بمعنى: أن الماضي قد يدل على المستقبل بدلالة السياق أو بالقرائن، وأن المضارع ينقلب إلى الماضي إذا ما سبقته لم، وأن الأمر يدل على الاستقبال، وقد يدل على الاستمرار¹¹

والحمد يتضمن ثناء الله على ذاته العلية والأمر لعباده بحمده عز وجل وأيضاً حمد العبد لربه، لأن أمر بقراءة الفاتحة في كل صلاة، وفيها يخاطب ربّه: (الحمد لله رب العالمين) امتثالاً لتوجيه الله للعباد كيف يحمدونه ويثنون عليه. وقد روي "عن عمران بن حصين - رضي الله عنه -: إني لأحدثك بالحديث اليوم لينفعك الله به بعد اليوم، أعلم أن خير عباد الله يوم القيامة الحمادون. قال السندي - رحمه الله -: الحمادون: أي الذين يكثرون الحمد لله تعالى في كل حال، فإن من فضيلة الحمد الرضا عنه تعالى في كل حال"¹².

و عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الدعاء لا إله إلا الله، وأفضل الذكر الحمد لله"¹³ وعن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: "أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله"¹⁴.

وأما من الله تعالى فوعده بالإجابة، قَالَ تَعَالَى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: 186] "قِيلَ: أَعْطِيهِ إِذَا سَأَلَنِي، وَقِيلَ: أَتَيْبُهُ إِذَا عَبْدَنِي، وَالْقَوْلَانِ مَتَلَاذِمَانِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ الْمَشْتَرَكِ فِي مَعْنِيهِ كِلَيْهِمَا، أَوْ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ، بَلْ هَذَا اسْتِعْمَالُهُ فِي حَقِيقَتِهِ الْمَتَضَمِّنَةِ لِلْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا"¹⁵

إن هذه المناصفة بين الحمد والدعاء في سورة الفاتحة تميز الخطاب بعلاقة متبادلة على أكثر من صعيد، ففيها الحمد والدعاء، والرحمة والحب، والحب والعبودية، والحب والحب، والدعاء والإجابة، ثم يهدي الله عباده التأمين في الختام، ويجعل هذه السورة المبنية على المناجاة والمناصفة في كل لقاء بين العبد وربّه في رحاب الصلاة، بل وفي كل ركعة في الصلاة، ويجعل هذا الخطاب أفضل القرآن وأم الكتاب وفاتحة الكتاب، بل اختزل فيها الكتاب كله. فعن أبي هريرة عن أبي بن كعب رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَإِنَّهَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ"¹⁶

2. محاور الخطاب في الفاتحة

يتمحور الخطاب القرآني في سورة الفاتحة حول أصول الدين والاعتقاد والعبادة. فبدأ الخطاب بالحمد والثناء على الله عز وجل وإثبات أسمائه وصفاته، وهو ما يتعلق بالاعتقاد في ألوهية الله تعالى وربوبيته، وإفراده بهما، وفي أسمائه وصفاته، فيما يسمى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات¹⁷، حيث إن الألوهية والربوبية تستوجبان من المخلوق حمد الخالق على نعمه قبل التوجه إليه بالدعاء، لأن الحمد اعتقاد يصح الدعاء مع فساده، وإذا صح المعتقد ترتب عنه صحة الدعاء والرجاء في الإجابة، أما إن فسد المعتقد فلا إجابة ترجى ولا دعاء يصح،

والدعاء - كما ورد في الحديث - مخ العبادة¹⁸، وقد قال - صلى الله عليه وسلم - : "إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ"، ثُمَّ قَرَأَ: "(ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) [غافر: 60]"¹⁹

إن في الفاتحة أصول الإيمان كلها، فالإيمان بالله تعالى متضمن في توحيده، ولأن "العالمين" من مخلوقات الله يدلون على وجوده تعالى، والإيمان بصفاته عز وجل يقتضيه قوله: (رب العالمين)، "فلا سبيل إلى معرفة وجوده إلا بكونه ربا للعالمين، وقوله: الحمد لله إشارة إلى كونه مستحقا للحمد، ولا يكون مستحقا للحمد إلا إذا كان قادرا على كل الممكنات علما بكل المعلومات، ثم وصفه بنهاية الرحمة، وهو كونه رحمانا رحيمًا، ثم وصفه بكمال القدرة، وهو قوله: (مالك يوم الدين)، حيث لا يهمل أمر المظلومين، بل يستوفي حقوقهم من الظالمين"²⁰، وهذا من معرفة الذات والصفات وهو من علم الأصول.

والإيمان باليوم الآخر مصرح به في قوله تعالى: (مالك يوم الدين)، وإفراده تعالى بالعبادة في (إياك نعبد وإياك نستعين)، وإفراده بالدعاء في: (اهدنا الصراط المستقيم) وهي أصول الدين والاعتقاد والعبادة. وذكرت السورة صفات المؤمنين ووجوب اتباع سبيلهم: (صراط الذين أنعمت عليهم)، وصفات أهم فئتين يمكن أن يفتتن بهما المسلمون في كل عصر، وهما اليهود والنصارى، ونبه على ضرورة اجتناب سبيليهما: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ). ويمكننا مما سبق تقسيم خطاب المناجاة في سورة الفاتحة إلى المحاور التالية:

1.2 محور الربوبية

في محور الربوبية في سورة الفاتحة يتجلى خطاب الحمد والثناء، يقول الرازي في مفاتيح الغيب: "المقصود من جميع العلوم: إما معرفة عزة الربوبية، أو معرفة ذلة العبودية فقوله: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يدل على أنه هو الإله المستولي على كل أحوال الدنيا والآخرة، ثم من قوله: إياك نعبد وإياك نستعين إلى آخر السورة يدل على ذل العبودية، فإنه يدل على أن العبد لا يتم له شيء من الأعمال الظاهرة ولا من المكاشفات الباطنة إلا بإعانة الله تعالى وهدايته"²¹. وقد بدأ الله تعالى سورة الفاتحة بالحمد لذاته سبحانه فقال: (الحمد لله رب العالمين)، والحمد لغة هو الثناء الجميل، وحمد الله تبارك وتعالى يكون بذكر صفاته العليا وأسمائه الحسنى وما

هو أهل له من التعظيم والتمجيد، وذكر فضله ولإنعامه على خلقه، "ويكون في الحمد معنى الشكر وفيه معنى المدح وهو أعم من الشكر، لأن الحمد يوضع موضع الشكر، ولا يوضع الشكر موضع الحمد. وقال بعضهم: الشكر أعم، لأنه باللسان وبالجوارح وبالقلب، والحمد يكون باللسان خاصة"²². كما قال تعالى: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) [سبأ: 13]. وقال ابن عباس: الحمد لله كلمة كل شاعر، وذلك أن آدم عليه السلام قال حين عطس: الحمد لله، فقال الله تعالى: يرحمك الله، فسبقت رحمته غضبه. وقال الله تعالى لنوح: (فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [المؤمنون: 28]، وقال إبراهيم - عليه السلام -: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) [إبراهيم: 39]، وقال في قصة داود وسليمان: (وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) [النمل: 15]، وقال للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم -: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) [الإسراء: 111]، وقال أهل الجنة: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) [فاطر: 34] فهي كلمة كل شاعر"²³

وقد حمد الله ذاته العلية في سورة الفاتحة حمدا مطلقا من كل ظرف زماني أو مكاني، بينما حظرت الظروف في مواضع أخرى، فذكر في سورة الروم الظروف المكانية: السماوات والأرض فقال: (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ). وذكر في سورة القصص الظروف الزمانية: الدنيا والآخرة، فقال: (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ). وقال في أول سورة سبأ: (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)، والألف واللام في "الحمد" لاستغراق جميع المحامد، وهو ثناء أثني به تعالى على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه به²⁴.

وفي وجه الحكمة في افتتاح سورة الفاتحة بحمد الله لذاته العلية أن في ذلك تعظيم لفعل الحمد وقوله عند الله عز وجل، ومنها أن "نعمة تنزيل القرآن الكريم هي أعظم النعم الدالة على جلائل صفاته تعالى وكما لها؛ خاصة وأنه قد اشتمل القرآن الكريم على كمال المعنى واللفظ والغاية؛ فكان افتتاحه أولى المواطن بثناء الله تبارك وتعالى على ذاته"²⁵.

والاستفتاح بالحمد خطاب يتضمن التوجيه والإرشاد للعباد بحمد ربهم الذي خلقهم ورحمهم، والذي إليه يؤوبون فيقضي بينهم ويملك مصيرهم، وفيه "تذكير لهم بعظمة وجمال صفات منزله".

سبحانه . وجزبل نعمته عليهم بإنزال كتابه عليهم وحفظه وتوفيقيهم لتلاوته وسماعه وفهمه؛ وإذ فيه سعادتهم في الدارين²⁶.

ومنها ، ما ذكره ابن عاشور في التحرير والتنزيل من أنه سبحانه لما لقن المؤمنين "هاته المناجاة البديعة التي لا يهتدي إلى الإحاطة بها في كلامه غير علام الغيوب سبحانه، قدم الحمد عليها ليضعه المناجون كذلك في مناجاتهم، جريا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء، أن يفتتحوا خطابهم إياهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل. فكان افتتاح الكلام بالتحميد سنة الكتاب المجيد لكل بليغ مجيد، فلم يزل المسلمون من يومئذ يلقبون كل كلام نفيس لم يشتمل في طالع على الحمد بالأبتر أخذاً من حديث أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أو بالحمد فهو أقطع"، وقد لقبت خطبة زياد ابن أبي سفيان التي خطبها بالبصرة بالبتراء، لأنه لم يفتتحها بالحمد، وكانت سورة الفاتحة لذلك منزلة من القرآن منزلة الديباجة للكتاب أو المقدمة للخطبة، ولذلك شأن مهم في صناعة الإنشاء، فإن تقديم المقدمة بين يدي المقصود أعود للأفهام وأدعى لوعيتها²⁷.

ولأن حديثنا عن خطاب المناجاة فقد جعل الله تعالى فاتحة كتابه مناجاة من العبد للخالق، ودليل ذلك أن الفاتحة جعلت في كل ركعة في الصلاة التي ما هي في جوهرها إلا مناجاة ولقاء بين العبد وربّه، وجعل كلام اللقاء والمناجاة بما لا يهتدي إلى الإحاطة بأسراره وأنواره غير الله، ولأن المناجاة تقتضي البدء بالحمد على ما جرت عليه أعراف البلغاء عند مخاطبة العظماء كما أسلفنا.

قال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني *** حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوماً *** كفاه عن تعرضه الثناء

وقد دلّ على كون الفاتحة مناجاة لله عزوجل الحديث الذي مر معنا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: (الحمد لله رب العالمين)، قال الله تعالى:

حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم)، قال الله تعالى: أثني علي عبدي، فإذا قال: (مالك يوم الدين). قال: مجدي عبدي، فإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين) قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين). قال: هذا لعبدي ولعبي ما سأل.

وعلى مذهب من قال إن (بسم الله الرحمن الرحيم) هي أول آية من سورة الفاتحة؛ فقد "قدم متعلق الجار والمجرور مؤخراً في قوله: (بسم الله) على معنى "بسم الله أفعل كذا"، ليفيد التقديم - مع التخصيص - الاهتمام بأمر المقدم"²⁸ ونجد البسملة بدورها متناسبة مع (الحمد لله) بعدها، فلا تخرج عن الابتداء بذكر أسماء الله وصفاته التي غايتها الحمد والتعظيم والتمجيد، يقول الرازي: "فإن الناس اختلفوا في معنى بسم الله الرحمن الرحيم، فمنهم من قدم المضمرة وهو الأمر أو الخبر ومنهم من أخره وكذا الحمد لله رب العالمين قالوا معناه قولوا الحمد لله"²⁹ ويكون على هذا الأساس قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين) الآية الثانية في الفاتحة، ولا يخفى ما بين الآيتين من تناسب، ذلك أنه "لما كانت البسملة نوعاً من الحمد ناسب كل المناسبة تعقيبها باسم الحمد الكلي الجامع لجميع أفرادها فكأنه قيل: الحمد لله لأنه المستحق لجميع المحامد، وخصوا هذا النوع من الحمد في افتتاح أموركم، لما ذكر من استشعار الرغبة إليه، والرغبة منه، المؤدي إلى لزوم طريق الهدى"³⁰

إن الثناء على الله تعالى وصف له بكل محمودة وتنزيه له عن كل منقصة، ويدخل في ذلك إثبات اليوم الآخر والبعث والجزاء والعقاب، ولأن إثبات خطاب الربوبية والإقرار بها وحمد الله المنعم المتفضل يتضمن العبودية والخضوع والاستسلام لله عز وجل فإن ذلك يستلزم قبول الأوامر والنواهي في قوله: (إياك نعبد)، وخطاب المناجاة وطلب الهداية؛ خوفاً ورجاء، طمعا في الوعد، وخشية من الوعيد في قوله: (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم)، وبذلك تترابط محاور الخطاب في السورة؛ محور الربوبية، ومحور العبودية، ومحور الهداية، وتتصل المقاصد بالتقديم للربوبية وإثبات الصفات العلية له سبحانه.

ومن وجوه الحكمة في إسناد الحمد إلى اسم الله وما جاء بعده من صفات (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم...) هو أن "الحمد لله هو الثناء له بكل نعمة وصلت منه إلى الخلق، وجعله

مستحقا للحمد والثناء له دون من سواه³¹ ولأنه "إخبار عن كونه في نفسه مستحقا للحمد سواء قاله قائل أو لم يقله"³²، وأما ما تبع ذلك من صفات الله عز وجل الأربعة: رب العالمين، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين، فمن باب التعلق والترتب، "للإيدان بالاستحقاق الوصفي فإن ذكر هذه الأسماء المشعرة بالصفات يؤذن بقصد

ملاحظة معانيها الأصلية، وهذا من المستفادات من الكلام بطريق الاستبصار لأنه لما كان في ذكر الوصف غنية عن ذكر الموصوف لا سيما إذا كان الوصف منزلا منزلة الاسم كأوصافه تعالى وكان في ذكر لفظ الموصوف أيضا غنية في التنبيه على استحقاق الحمد المقصود من الجملة علمنا أن المتكلم ما جمع بينهما إلا وهو يشير إلى أن كلا مدلولي الموصوف والصفة جدير بتعلق الحمد له مع ما في ذكر أوصافه المختصة به من التذكير بما يميزه عن الآلهة المزعومة عند الأمم من الأصنام والأوثان والعناصر"³³.

ويدخل في محور الربوبية الإيمان باليوم الآخر، فتخصيصه تعالى بملك يوم الدين قطع لكل مدخل ادعاء وتداول تتداخل فيه الحقيقة بالجاز والمعنى المباشر بالمعنى غير المباشر، مثلما فعل النمرود في حوار مع إبراهيم عليه السلام: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) أَوْ كَآلِذِي مِرٍّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طُعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۖ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)) [البقرة: 258-259]، قال السعدي: "المالك هو من اتصف بصفة الملك، التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها، لأن في ذلك اليوم، يظهر للخلق تمام الظهور، كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق. حتى [إنه] يستوي في ذلك

اليوم، الملوك والرعايا والعبيد والأحرار. كلهم مدعون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين ولغيره من الأيام³⁴

ويدخل في محور الربوبية أيضا الإيمان بالصفات والأحكام، لأن العلوم البشرية - كما يقول الرازي - إما علم ذات الله وصفاته وأفعاله، وهو علم الأصول وإما علم أحكام الله تعالى وتكاليفه، وهو علم الفروع، وإما علم تصفية الباطن وظهور الأنوار الروحانية والمكاشفات الإلهية. والمقصود من القرآن بيان هذه الأنواع الثلاثة، وهذه السورة الكريمة مشتملة على تقرير هذه المطالب الثلاثة على أكمل الوجوه: فقوله: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إشارة إلى علم الأصول: لأن الدال على وجوده وجود مخلوقاته، فقوله: رب العالمين يجري مجرى الإشارة إلى أنه لا سبيل إلى معرفة وجوده إلا بكونه ربا للعالمين، وقوله: الحمد لله إشارة إلى كونه مستحقا للحمد، ولا يكون مستحقا للحمد إلا إذا كان قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات، ثم وصفه بنهاية الرحمة - وهو كونه رحمانا رحيمًا - ثم وصفه بكمال القدرة - وهو قوله مالك يوم الدين - حيث لا يهمل أمر المظلومين، بل يستوفي حقوقهم من الظالمين، وعند هذا تم الكلام في معرفة الذات والصفات وهو علم الأصول، ثم شرع بعده في تقرير علم الفروع، وهو الاشتغال بالخدمة والعبودية، وهو قول: إياك نعبد ثم مزجه أيضا بعلم الأصول مرة أخرى، وهو أن أداء وظائف العبودية لا يكمل إلا بإعانة الربوبية، ثم شرع بعده في بيان درجات المكاشفات وهي على كثرتها محصورة في أمور ثلاثة: أولها: حصول هداية النور في القلب، وهو المراد من قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم، وثانيها: أن يتجلى له درجات الأبرار المطهرين من الذين أنعم الله عليهم بالجلال والقدسية والجواذب الإلهية، حتى تصير تلك الأرواح القدسية كالمرايا المجلوة فينعكس الشعاع من كل واحدة منها إلى الأخرى، وهو قوله: صراط الذين أنعمت عليهم، وثالثها: أن تبقى مصنوعة معصومة عن أوضاع الشهوات، وهو قوله: غير المغضوب عليهم وعن أوزار الشبهات، وهو قوله: ولا الضالين فثبت أن هذه السورة مشتملة على هذه الأسرار العالية التي هي أشرف المطالب³⁵.

2.2 محور العبودية

إنَّ استحقاق الله عز وجل للحمد والثناء إقرار بربوبيته للعالمين، والإقرار بأنه مالك يوم الدين يقتضي خضوع المخلوقين وذل العابدين، لأنه ولي نعمتهم ومدبر معيشتهم ومصلح شؤون حياتهم ومملك بعثهم ومماثمهم، وذكر صفتي (الرحمن) و(الرحيم) يقتضيان الحب واللطف، وأن خضوع المخلوق للخالق ليس فيه قهر ولا ظلم، وإنما منطلقه الحب وأوسطه الإحسان ومنتهاه الرحمة، وفي وجه الحكمة في ذكر هاتين الصفتين الجليلتين لله تعالى بعد وصفه برب العالمين ذكر المفسرون أمرين: أحدهما الإشارة إلى أن تربيته سبحانه للعالمين ليست لحاجة به إليهم كجلب منفعة أو دفع مضرة، وإنما هي لعموم رحمته وشمول إحسانه. وثانيهما البيان بأن ربوبيته ربوبية رحمة وإحسان لا ربوبية قهر وجبروت كما قد يفهمه البعض، وفي هذا جمع لهم بين الترغيب والترهيب ليقبلوا على ما يرضيه بنفوس مطمئنة وصدور منشرجة³⁶.

إنَّ صفات الله تعالى تستوجب توحيده وإفراده بالعبادة واستحقاقه الدعاء، "قال بعضهم العبودية هي الذبول عن موارد الربوبية والخمول تحت صفات الألوهية"³⁷ وهي تتضمن إرشاد العباد إلى إخلاص العبادة له سبحانه، والتوجه إليه بالدعاء وسؤال، وإفراده بالخضوع والتضرع، وطلب الهداية منه وحده إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يجنبهم طريق المغضوب عليهم وسبيل أهل الضلال.

والعبودية هي سر الخلق وعلة الوجود. قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) [الذاريات: 56 - 58] يقول ابن القيم: "فتأمل ما في أمره ونهيهِ ووصاياهِ ومواعيظهِ من الرحمة البالغة والنعمة السابغة، وما في حشوها من الرحمة والنعمة، فالرحمة هي السبب المتصل منه بعباده كما أن العبودية هي السبب المتصل منهم به، فمنهم إليه العبودية، ومنه إليهم الرحمة، ومن أخص مشاهد هذا الاسم (الرحمن) شهود المصلي نصيبه من الرحمة الذي أقامه بها بين يدي ربه، وأهله لعبوديته ومناجاته، وأعطاه ومنع غيره، وأقبل بقلبه وأعرض بقلبه غيره، وذلك من رحمته به"³⁸.

قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين) إشارة إلى ارتباط العبودية بالاستعانة والفقر والحاجة إلى المعبود، حاجة نابعة من الحب والشعور بالقرب والتماهي في المحبوب، فحقيقة العبودية هي كمال الحب، وحقيقة الربوبية هي أنه رب محبوب، وحقيقة الحب هي التعظيم والحمد والخضوع والعبودية. يقول ابن القيم: "فمحبّة العبودية هي أشرف أنواع المحبة، وهي خالص حق الله على عباده، وفي الصحيح عن معاذ أنه قال: كنت سائرا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «يا معاذ! قل: يا معاذ! قل: لبيك يا رسول الله وسعديك! قال: ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ! قل: لبيك رسول الله وسعديك! ثم سار ساعة فقال: «يا معاذ!»، قلت: لبيك رسول الله وسعديك! قال: «أتدري ما حق الله على عباده؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حقه عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا. أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ ألا يعدّهم بالنار»³⁹.

بل إن في قراءة الفاتحة في الصلاة تجتمع ضروب من العبادة، فتجتمع العبادة الاعتقادية ممثلة في الإقرار لله بالربوبية والألوهية، والأسماء والصفات، وتجتمع معها عبادة التلاوة، لأن قراءة القرآن الكريم شكل من أشكال التعبد، فعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"⁴⁰ وتجتمع فيها العبادة الجسدية التي يؤديها البدن، بكل ما فيها من أبعاد شعائرية، تجمع أركان الإسلام، ففيها التوحيد وفيها الصلاة وفيها الحج بالتوجه إلى البيت العتيق، والحج في جوهره قصد وتوجه، وفيها الصوم والامتناع عن المفطرات.

3.2. محور الهداية

إن الربوبية تفضي إلى العبودية، وكلاهما يفضي إلى العلاقة بين العابد والمعبود وبين الخالق والمخلوق، فحاجة الإنسان للهداية دائمة مستمرة، وطلبه للتوجيه والعناية ضرورة مستقرة، قال تعالى: (الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۚ فِيهِ ۙ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)) [البقرة: 1-2] فكتابه سبيل للهداية، وهو ما وصف به الكتب السابقة أيضا فقال: (إِنَّا إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۙ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ) [المائدة: 44]، وقال تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ

مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) [البقرة: 97]، وقال تعالى: (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) [آل عمران: 138]، ومثله ارتباط الهدى باسم النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً) (45) وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً (46)) [الأحزاب: 45-46] أي شاهداً على أمتك بإبلاغك إياهم ما أَرْسَلْنَاكَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ، ومُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ إِنْ صَدَقُوا وَعَمَلُوا بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، (ونذيراً) مِنَ النَّارِ أَنْ يَدْخُلُوهَا، فَيُعَذِّبُوا بِهَا إِنْ هُمْ كَذَبُوا، وخالفوا ما جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. ووقوله: (وداعياً إلى الله): داعياً إلى توحيد الله، وإفراد الألوهة له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه مِنَ الْإِلَهِةِ وَالْأَوْثَانِ⁴¹. وهذا عين الهدى وجوهر الإرشاد، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مِنْ نَشَاءٍ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53)) [الزخرف: 52-53] أي: وإنك يا محمد تدل الناس وتبين لهم وترشدهم إلى الصراط المستقيم. كما قال: (إن عليك إلا البلاغ) و: (لتبين للناس ما نزل إليهم) هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الذي تدل عليه البراهين القاطعة⁴².

إن الهداية إلى الصراط المستقيم لا تتحقق إلا بوجود الهادي الذي يدل عليها، وذلك من الرحمة بالناس، لذلك ارتبطت الهداية بالرحمة في قوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل: 89]، وفي قوله تعالى: (الْم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (3)) [لقمان: 1-3]، (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) [الجاثية: 20] والآيات من هذا القبيل كثيرة، وهو ما يلزم منه ثبوت الرحمة في الهداية، وأن الهداية من رحمة الله بعباده وحبهم لهم، لأنه يريد نجاحهم وفوزهم، ولا يجب عذابهم وظلالهم، وإن الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم استيقظ على بعيره قد أضله بأرض فلاة⁴³.

ذهب ابن القيم في قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) إلى أن الهداية هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرُّسُل. فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق، وجعل الإيمان في القلب، وتوجيهه إلى

العبد، وتزيينه في قلبه، وجعله مؤثرا له، راضيا به، راغبا فيه. وهما هدايتان مسؤولتان، ولا يحصل الفلاح إلا بهما. وهما متضمنتان تعريف ما لم نعلمه من الحق تفصيلاً وإجمالاً، وإلهامنا له، وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهراً وباطناً؛ ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم، ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الموافقة⁴⁴.

الخاتمة :

وصلنا إلى خاتمة بحثنا في خطاب المناجاة في سورة الفاتحة، ووقفنا خلال مسيرتنا البحثية على محطات مهمة خلاصتها أن سورة الفاتحة خطاب رباني وتلاوة بشرية، يحمد الله فيها ذاته العلية، ويذكر صفاته الجليلة، وفي الصلاة تستحيل السورة خطاباً يتوجه به العبد إلى ربه فيحمده كما علمه أن يحمد، ويقر له فيه بالربوبية والألوهية، وبصفات الجلال والجمال والكمال، ويقر بعبوديته لربه وخضوعه له وخنوعه، عبادة معطرة بالحب والاستسلام، ثم يسأله فيطلب منه الهداية والرشاد، ويدعوه أن يقيه سبيل الغضب والضلال. لتتضمن هذه السورة من ثم مقاصد الدين ومعانيه، ما لم تتضمنه غيرها من السور.

إن في فاتحة الكتاب خطاب الربوبية، وفيها الثناء على الله بما هو له أهل سبحانه، وفي ذكر أسمائه وصفاته اعتراف بالعبودية، وبين الربوبية والعبودية يسود الحب والرحمة والاستعانة والدعاء، وهذه كلها مقاصد القرآن الكريم، لخصها قوله تعالى في الحديث: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدني ما سأل).

تضمنت سورة الفاتحة أيضاً الإيمان باليوم الآخر وما يستلزمه من قضايا إيمانية، كنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - والملائكة ويوم المعاد والجنة والنار.

وتقدمت العبادة في قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين) لأنها سبب في الإعانة، إذ لا يطلب العون ممن لا يعطى حقه، فالإله الخالق المنعم المتفضل يستحق مقابل خلقه ورزقه ونعمائه أن يحمد ويعبد، ثم يطلب منه المزيد بالإعانة والتوفيق والإرشاد فيستجيب، وهو سبحانه المنعم الأول فلا بد أن يحمد أولاً ويعبد بما يستحق ثم تطلب منه الإعانة، وهذا في حد ذاته نوع من المناجاة والحوار

الضماني بين العبد وربّه، وفي قوله (اهدنا الصراط المستقيم) دعاء بالهداية، لكن لأي صراط، إنه الصراط الذي ارتضاه الله لعباده، وهو تقابل آخر يتضمن المناجاة والحوار، فكأن في الخطاب إشارة وتوجيه إلى الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده باتباعه، ثم يطلب العباد الهداية فيكون الجواب: وفق ما يرتضيه الله من سبيل، كما يتضمن أنكم أيها العباد حتى لو أردتم الاهتداء وفق منهج الله فإنكم أيضا في حاجة إلى توفيق الله عز وجل، مما يثبت فضله وحاجتكم إليه حتى فيما يوحي ظاهره أنه منوط بكم وبإرادتكم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. باجسير محمد بن عبد الله بن علي، القواعد في توحيد العبادة وما يضاده من الشرك عند أهل السنة والجماعة جمعا ودراسة، دار الأماجد للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 2017م
2. البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1311هـ
3. البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود، شرح السنة، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، ط2، 1983م
4. البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
5. الترمذي محمد بن علي بن الحسن، نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان
6. الترمذي محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، 1975م
7. الترمذي، سنن الترمذي، تح: إبراهيم عطوة عوض، 175/5، رقم: 2910
8. جامعة المدينة العالمية، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مرحلة البكالوريوس، منشورات جامعة المدينة العالمية

9. الجناحي حسن بن إسماعيل بن حسن، النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، دار الطباعة المحمدية القاهرة، مصر، ط1، 1983م
10. حافظ عماد بن زهير، حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2004م
11. ابن حبان أبو حاتم محمد، التقاسيم والأنواع (صحيح ابن حبان)، تح: محمد علي سونغز وخالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2012م
12. حقي إسماعيل، روح البيان، دار الفكر، بيروت
13. ابن حنبل أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2001م
14. ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، كتاب الشكر، تح: بدر البدر، المكتب الإسلامي، الكويت، ط3، 1980م
15. الرازي فخر الدين، المحصول، تح: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1997م
16. الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1420هـ
17. السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م
18. السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م
19. الشقاوي أمين بن عبد، موسوعة الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، مكتبة الملك فهد، المملكة العربية السعودية، ط1، 2021م
20. الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عطاءات العلم، الرياض، ط5، 2019م

21. الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ط، د.ت
22. ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م
23. القرطبي أبو العباس أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تح: محبي الدين ديب ميسو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1996م
24. ابن قيم الجوزية، الصلاة وأحكام تاركها، مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية
25. ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تح: محمد عزيز شمس، دار عطاءات العلم، الرياض، ط4، 2019م
26. ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين في منازل السائرين، تح: محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، الرياض، ط2، 2019م
27. الماتريدي أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م
28. أبو يعلى أحمد بن علي، مسند أبي يعلى، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1984م

الهوامش:

- ¹ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1420هـ، 156/1
- ² الرازي، مفاتيح الغيب، 156/1
- ³ حديث حسن صحيح. ينظر: البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود، شرح السنة، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، ط2، 1983م، 444/4، رقم: 1186
- ⁴ البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1311هـ، 133/7، رقم: 5749
- ⁵ الرازي، مفاتيح الغيب، 158/1
- ⁶ البخاري، صحيح البخاري، 17/6. رقم: 4474

- 7 الترمذي محمد بن علي بن الحسن، نادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، 123/4
- 8 الرازي، مفاتيح الغيب، 158/1
- 9 الرازي، مفاتيح الغيب، 158/1
- 10 ينظر: الترمذي، نادر الأصول، 124/4
- 11 ينظر: مناهج جامعة المدينة العالمية، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مرحلة البكالوريوس، منشورات جامعة المدينة العالمية، ص460
- 12 الشقاوي أمين بن عبد، موسوعة الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، مكتبة الملك فهد، المملكة العربية السعودية، ط1، 2021م، 461/12
- 13 ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، كتاب الشكر، تح: بدر البدر، المكتب الإسلامي، الكويت، ط3، 1980م، ص37. رقم: 103
- 14 ابن حبان أبو حاتم محمد، التقاسيم والأنواع (صحيح ابن حبان)، تح: محمد علي سونغز وخالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، 397/1. رقم: 544
- 15 باجسير محمد بن عبد الله بن علي، القواعد في توحيد العبادة وما يضافه من الشرك عند أهل السنة والجماعة جمعاً ودراسة، دار الأماجد للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 2017م، 895/2
- 16 الترمذي، نادر الأصول، 127/4
- 17 قسم العلماء عموماً توحيد الله عز وجل إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات. مع اختلاف بين العلماء في مفهوم الربوبية والألوهية، ومنهم من يقسم التوحيد إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات: يضم توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الطلب والقصد: ويضم توحيد الألوهية.
- 18 نص الحديث: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَجَرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ ابْنِ لُحَيْعَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنِ أَبِي بَانَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الدُّعَاءُ مَخُّ الْعِبَادَةِ". وقال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لُحَيْعَةَ". ينظر: الترمذي محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، 1975م، 456/3، رقم: 3371
- 19 ابن حنبل أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأنرووط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، 298/30
- 20 الرازي، مفاتيح الغيب، 157/1
- 21 نفس المرجع، 158/1
- 22 السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، 16/1
- 23 ينظر: نفس المرجع، 16/1
- 24 ينظر: الشنقيطي محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عطاءات العلم، الرياض، ط5، 2019م، 47/1

- 25 حافظ عماد بن زهير، حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2004م، ص19
- 26 نفس المرجع، ص19
- 27 ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، 154/1
- 28 الجناجي حسن بن إسماعيل بن حسن، النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، دار الطباعة المحمدية القاهرة، مصر، ط1، 1983م، ص428
- 29 الرازي فخر الدين، المحصول، تح: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1997م، 276/4
- 30 البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 27/1
- 31 الماتريدي أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، 177/7
- 32 الرازي، مفاتيح الغيب، 100/1
- 33 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 166/1
- 34 السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص39
- 35 ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 157/1
- 36 ينظر: حافظ عماد بن زهير، حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيم، ص25
- 37 حقي إسماعيل، روح البيان، دار الفكر، بيروت، 26/8
- 38 ابن قيم الجوزية، الصلاة وأحكام تاركها، مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ص143
- 39 ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تح: محمد عزيز شمس، دار عطاءات العلم، الرياض، ط4، 2019م، ص84
- 40 الترمذي، سنن الترمذي، تح: إبراهيم عطوة عوض، 175/5، رقم: 2910
- 41 الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ط، د.ت، 281/20
- 42 القرطبي أبو العباس أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تح: محيي الدين ديب ميسو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1996م، 196/1
- 43 [إسناده صحيح. ينظر: أبو يعلى أحمد بن علي، مسند أبي يعلى، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1984م، 244/5. رقم: 2860
- 44 ينظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين في منازل السائرين، تح: محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، الرياض، ط2، 2019م، 13-12/1

